ميّ، وتختلف الحقائق بعد ذلك تبعاً لاختلاف التكوين النفسي عند شتى النساء .. لقد ثارت على جبران ، وفي خلال ثورتها على مرجل وجودها الداخلي ولم يكن محكم الغطاء، فتطايرت قطرات السر الرهيب في هذه الكلمات :

«.. لما كنت أجلس للكتابة كنت أنسى من واين انت .. وكثيراً ما أنسى ان هناك شخصاً ، ان هناك (رجلا) أخاطبه! فأكلمك كما أكلم نفسي، واحياناً كأنك (رفيقة) لي في المدرسة»!!

هكذا تكلمت ميّ ، واذا تكلمت ميّ فليس هناك زيادة لمستزيد .. ان ذلك « الشيء » الذي سألت عنه جبران قد أجابت عنه هنا في لحظة غضب ثائرة ؛ ولم يكن في كلمة واحدة غير « الانوثة المقتولة » ! واذا ما قتلت الانوثة في اعماق المرأة فقد قتل احساسها بالرجل وانمحت الفوارق الجنسية في عالم الشعور .. يبدو الرجل في منظارها وهو لا يختلف عنها في شيء لانها حُرمت حاسة الجنس وسُلبت توجيه الغريزة ، وقل بعد ذلك انه فقد الشهية نحو الاشياء وما يترتب عليه من أثر في سلوك الاحياء : تفقد شهية الطموح فتزهد في المجد ، وتفقد شهية القراءة فتشغل عن العلم ، وتفقد شهية الاكل فتعزف عن الطعام .. وكذلك المرأة حين تفقد شهية الانوثة فتنسى الرجل وتنفر من الحب ! لقد كانت مي في تلك السطور الاخيرة التي كتبتها لجبران هي المرأة التي « نسيت » ان هناك « رجلا » تخاطبه ؛ وكل امرأة تتعرض لهذا الشذوذ فهي واحدة من اثنتين : امرأة يتجرد ازاءها الرجل من أعمق صفات الرجولة فاذا هو في بوتقة احساسها « رفيقة » من عالم النساء ، وامرأة تتجرد ازاء الرجل من ابرز خصائص الانوثة فاذا هي في البوتقة نفسها «رفيق» من عالم الرجال ، ومن هنا ينقطع « التيار » العاطفي بينها وبينه وكأنه تيار كهربائي بين قطبين سالبين .. وهذا هو المفتاح!

ترى هل كفّ جبران بعد ذلك عن السير مع عاطفة ميّ « السالبة » او المسلوبة الى نهاية الطريق ؟ كلا ، لأنه ما زال يحدّق في لغة نفسها بعقل معصوب العينين :

« لدي امور كثيرة أريد ان أقولها عن العنصر الشفاف وغيره من العناصر . ولكن عليّ ان أبقى صامتاً عنها ، وسوف أبقى صامتاً حتى يضمحل الضباب ، وتنفتح الأبواب الدهرية ويقول لي ملاك الرب : تكلم فقد ذهب زمن الصمت ، وسر فقد زال وقوفك في ظلال الحيرة ! متى يا ترى تنفتح الأبواب الدهرية هل تعلمين ؟ هل تعلمين متى تنفتح الأبواب الدهرية ويضمحل الضباب ؟ ! .. ها قد بلغنا قمة عالية فظهرت امامنا سهول وغابات واودية، فلنجلس هنيهة يا ميّ ولنتحدث قليلاً. نحن لا نستطيع البقاء هنا دائماً لأنني أرى عن بعد قمة اعلى وعلينا ان نبلغها قبل الغروب » !

إنه ما يزال يسأل عن ابواب الامل متى تفتح ؛ الابواب التي تقف من ورائها امرأة تنتظره وفي شفتيها همس ، وفي عينيها لهفة ، وفي يديها ذلك المنديل الالهي الذي تجفف به عرق النفس وتمسح غبار الروح، بعد رحلته الطويلة المضنية في طريق الحياة.. انه يريد ان يجلس قليلاً ليستريح ، ويتحدث ، عن تلك القمة التي يود ان يبلغاها معاً قبل ان تحتضر شمس العمر على فراش الغروب ! ولكن الايام تمر والابواب لا تنفتح ، وليس هناك من ينتظر ، والقمة التي بلغها وحيداً بلا رفيق او حبيب ، كانت قمة اليأس والخيبة وضيعة الرجاء.

وانتهى الحديث عن اللقاء وابتدأ الحديث عن الرحيل، وها هو جبران ينثر بين يديها أشلاء شعور تمزقت أوصاله على بقايا الصخور :

« أتعلمين يا ميّ اني ما فكرت في الانصراف الذي يسميه الناس موتاً ، إلا وجدت في التفكير لذة غريبة وشعرت بشوق هائل الى الرحيل ؟ ولكني اعود فأذكر ان كلمة لا بد من قولها ، فأحار بين عجزي واضطراري وتغلق امامي الابواب ! لا ، لم أقل كلمتي بعد ، ولم يظهر من هذه الشعلة غير الدخان . اقول لك يا ميّ ، ولا اقول لسواك ، إني إذا انصرفت قبل تهجئة كلمتي ولفظها فإني سأعود لأقول الكلمة التي تتمايل الآن كالضباب في سكينة

اقرأ

	ق.ل
المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران (ثلاثة اجزاء)	٤٠٠
عرائس المروج	٦٠
الارواح المتمردة	١٢٥
دمعة وابتسامة	١٢٥
الاجنحة المتكسرة	٧٥
المواكب	٦٠
العواصف	١٢٥
البدائع والطرائف	١٢٥
المجنون	٧٥
السابق	٥٠
النبي	١٢٥
يسوع ابن الانسان	١٢٥
آلهة الارض	٥٠
رمل وزبد	١٢٥
كلمات جبران	١٢٥

تطلب هذه الكتب جميعها من :

المكتبة الشرقية

بيروت — ساحة النجمة ، شارع المعرض